

ج- شهادات تاريخية



رحلة الصحفي المراسل لمجريات اتفاقية إيفيان مع الرئيس احمد بن بلة وهواري بومدين

د. سمير مطاوع

وزير أردني سابق للإعلام

mutawi@gmail.com.

تاريخ القبول: 2020/01/23

تاريخ الاستلام: 2020/01/23

كان للجزائر ولا يزال مكانة خاصة في قلبي منذ كنا يافعين عندما انطلقت ثورة التحرير الجزائرية . كانت تلك الثورة قد ملأت علينا نفوسنا وهيمنت على عقولنا. وكنا على الدوام ننظر إلى الثورة الجزائرية على أنها ردت للعرب بعض كرامتهم بعد هزيمة 1948.

علاقتي الحقيقية مع الثورة الجزائرية بدأت أثناء عملي في إذاعة هولندا العالمية في أوائل ستينيات القرن العشرين . خلال تنقلي المستمر ما بين أمستردام وبروكسل لإعداد تحقيقات صحفية عن مفاوضات بريطانيا للانضمام إلى عضوية السوق الأوروبية المشتركة في حينه لمجلة الأسبوع العربي اللبنانية ، تعرفت على شخص جزائري الأصل أسرّلي أنه ضابط في جيش التحرير الجزائري وموجود في أوروبا للإشراف على جمع تبرعات الجزائريين العاملين هناك واستخدامها في شراء بعض احتياجات جيش التحرير.

كان ذلك الضابط ، واسمه يوسف بودراع ، يرسل تلك الاحتياجات إلى ميناء روتردام في هولندا لكي تشحن مع السفن الذاهبة إلى تونس أو طرابلس الغرب . لكن تلك العملية كانت صعبة بعض الشيء عليه نتيجة ظروف عديدة أهمها المراقبة الحثيثة لتحركات الجزائريين في أوروبا من قبل رجال المخابرات الفرنسية . كانت المشتريات تتأخر أحيانا وكنا عندما نلتقي يشكولي همه بهذا الشأن . ولأني أتنقل على الأقل مرتين وأحيانا ثلاث مرات في الأسبوع ما بين أمستردام وبروكسل أبدت استعدادي للمساعدة في نقل بضائعه وخصوصا الأدوية والمستلزمات الطبية التي كان يشتريها من بلجيكا، فأخذت على عاتقي نقل تلك الأشياء بسيارتي التي تحمل لوحة هولندية وعليها ملصق شارة الصحافة وبالتالي من السهل التنقل بها عبر الحدود إلى ميناء روتردام وتسليمها للأشخاص الذين يتولون مسؤولية تأمين الشحنات مع السفن إلى طرابلس أو تونس وهناك تستقبل من قبل أشخاص معينين يؤمنونها لقيادة جيش التحرير.

لم أكن أعرف حقيقة ما يوضع في السيارة لنقله عبر الحدود . وقد كانت طريقة التسليم والاستلام بيني وبين الثوار جيمسبوندية. فقد أخذ الثوار نسخة من مفتاح السيارة وطلبوا مني عندما أصل إلى بروكسل أورتودام أن اذهب إلى مطعم معين وأوقف سيارتي في مواقف البناية تحت الأرض بينما يكون هناك أشخاص معتمدون من قبل الثوار معهم النسخة الثانية من المفاتيح فيقومون بأخذ السيارة إلى جهة ما وتفرغ الحمولة وإعادة السيارة إلى مكانها. كانوا يضعون الأغراض المطلوبة في السيارة إن كنت في بروكسل أو يأخذون تلك الأغراض إن كنت في روتردام . ومن هناك يشحنوها إلى الجزائر أما عبر تونس أو ليبيا كما أسلفت .

بطبيعة الحال عرفت هذا الضابط على نفسي وعرف أنني أعمل صحافيا وكذلك في إذاعة هولندا العربية . ولأنه قدّر لي هذه المساعدة كانت مكافأتي الحقيقية أن الثوار منحوني الحق الحصري في تغطية مفاوضات استقلال الجزائريين الثوار وفرنسا التي بدأت في إيفيان بسويسرا ما بين عامي 1961-1962 ، وكانوا مطمئنين من ناحيتي بأني سأقوم بالتغطية بشكل موضوعي أولا ومناسب لوجهة نظرهم. وقد قمت بالتغطية لتلك المفاوضات حتى نهايتها التي توجت بإعلان استقلال الجزائر. كانت تغطيتي لهذه المفاوضات « الحدث الأهم والأروع من بين كل ما أنجزته خلال مسيرتي الإعلامية الطويلة التي تميزت بتغطية الكثير من الأحداث العالمية ».

لقد غطيت محادثات استقلال الجزائر لمجلة الأسبوع العربي في بيروت وللقسم العربي في إذاعة هولندا العالمية. كنت يوميا أقدم في مطلع النشرة الإخبارية تقريراً صوتياً من دقيقتين إلى ثلاث دقائق عن مجريات المفاوضات. في الحقيقة كان هناك ضربة حظ في اختياري من قبل الثوار الجزائريين لتلك التغطية . فقد علمت من الزعيم أحمد بن بلة فيما بعد أن إذاعة هولندا العالمية باللغة العربية كانت الإذاعة العربية الوحيدة التي كان زعماء الثوار يستطيعون التقاط بثها أثناء وجودهم في السجون . وبالتالي كانت تقاريرهم توفر لهم معلومات أولية عن تطور المفاوضات وتوفر لهم مؤشرات عن كيفية سير الأمور وأين كانت العقبات وكيف تم تذليلها إلخ ...

في إيفيان حيث عقدت مفاوضات استقلال الجزائر، كان الفرنسيون يصرون على مطالب كثيرة منها مثلاً أن يحتفظوا بالصحراء الجزائرية وذلك بسبب غناها بالنفط . لكن الجزائريين تصلبوا حتى آخر لحظة ، ولم يتركوا أي شيء لمفاوضات لاحقة أو ما يسمى مفاوضات الوضع النهائي. لقد أنهى الجزائريون كل شيء في إيفيان. كنت ألاحظ أحيانا أن الجلسات التفاوضية تنفض من دون التوصل إلى نتيجة ويكون الجانبان في قمة الغضب بسبب تصلبهما. ولكن الجزائريين أصروا وصبروا وأدركت بالفعل أن صبرهم كان مفتاح الفرج لبلادهم.

مع الزعيم أحمد بن بلة

تقديرا من الثوار للمهمات الصحفية والثورية التي قمت بها لصالح الثورة الجزائرية كانت لي دعوة خاصة لدخول الجزائر مع زعيم الثوار الرئيس أحمد بن بلة الذي أطلق سراحه في يوم الاستقلال في تموز يوليو 1962. لكن هذه الزيارة لم تتم وأعطيت وعدا بزيارة للجزائر في احتفالات الذكرى الأولى للاستقلال في العام التالي.

قبيل الاحتفالات بالذكرى الأولى للاستقلال ، تلقيت دعوة لزيارة الجزائر والالتقاء بالرئيس أحمد بن بلة وتغطية هذه المناسبة الكبرى لإذاعة هولندا ولمجلة الأسبوع العربي. بهذه المناسبة قرر الرئيس بن بلة القيام بجولة في جميع أنحاء الجزائر من وهران غربا إلى قسنطينة وعنابة شرقا ومن الجزائر العاصمة إلى بسكرة وتيزي أوزو وكان لي الشرف أن أرافقه في تلك الرحلة.

أراد الرئيس أن يكون لجولته بداية رمزية لتكريم شهداء الثورة . أراد أن تكون البداية من بلدة باتنه في جبال الأوراس . ففي هذه البلدة ضريح أول شهيد من زعماء الثورة الجزائرية وهو مصطفى بن بولعيد رحمه الله لقراءة الفاتحة على روحه لكي تكون الزيارة رمزا لانطلاق وبداية عهد الحرية والاستقلال .

عند سفوح الأوراس قريبا من باتنة هبطت الطائرة بسلام ولكن المطار المهجور غير مجهز للطائرات المدنية وخصوصا عدم وجود سلالم للنزول إلى أرض المطار. كان ضمن الوفد في الطائرة الطاهر الزبيري الذي كان رئيس أركان جيش التحرير فاقترح أن نربط حبلا في باب الطائرة وأن ننزل متسلقين الجبل . كانت فكرة عبقرية منه. لكن الحس الصحفي

عندي منحني الجرة لاستئذان الرئيس بأن أكون أول من ينزل ليتاح لي تصوير جميع زعماء الثورة وهم يتسلقون الحبل نزولا من الطائرة .

عندما ذهبت مع الرئيس بن بلة لزيارة المدن والبلدات الجزائرية وعند الصعود إلى باتنة وقد استخدمنا سيارات جيب عسكرية لصعود جبال الأوراس عبر الطريق الضيقة والوعرة، شاهدت الأرض محروقة . ولما هممت أن أسأل مرافقي الشاب عبد الرحمن عجريد عن ذلك تدخل بن بلة وكان معنا في السيارة وقال سأخبرك بذلك عندما نصل . في البداية سألني بن بلة كم تقدر عمر عبد الرحمن فقلت ربما يكون في الأربعين ، فقال بل عمره ثلاث وعشرون سنة والسبب في تحول هيئته هو الحرائق الرهيبة التي تسببت في مقتل مجاميع كبيرة من أفراد جيش التحرير المحتشدين في غابات الأوراس . ويبدو أن الحديث تشعب فلم أعرف حقيقة أسباب حرائق الأوراس، لكن سألت هوارى بومدين عنها فيما بعد.

الجولة شملت أيضا بلدة قريبة من قسنطينة هي سطيف لزيارة فرحات عباس ، الذي كان أول رئيس للحكومة المؤقتة قبل الإستقلال .

كان لقائي بالرئيس أحمد بن بلة لا يخلو من الطرافة . فنحن لم يسبق أن التقينا وجهها لوجه من قبل وكان أول لقاء معه في طرابلس قبيل دخوله الجزائر بعد انتصار الثورة وحصول البلاد على الإستقلال .

عندما عرفوه عليّ قالوا له هذا هو الأخ سمير مطاوع . فنظر إليّ بإعجاب قائلاً: أنت سمير مطاوع؟ قلت له نعم يا سيدي، أنت تعرفني؟ أجابني قائلاً: يا سمير، يا سمير... الراديو الذي في السجن لم يكن يلتقط أي محطة عربية إلا إذاعة هولندا وكنا نستمع إلى تقاريرك منها. حديثه عني وعن الإذاعة بهذه الطريقة جعلني أدرك كم كانت تقاريري مفيدة من حيث أنها كانت توفر للزعماء المسجونين بعض المؤشرات عن تطور المحادثات والصعوبات التي كانت تعترضها أحيانا.

في الطائرة مع بومدين

عندما غادرت الجزائر بعد الاحتفالات أتاحت لي فرصة مرافقة الرئيس هوارى بومدين قائد جيش التحرير الجزائري الأسطوري في رحلة إلى القاهرة .

خلال الرحلة تحدثت مع بومدين حول ما حدث في طرابلس يوم الاستقلال عندما دخل يوسف بن خدة رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة ورفاقه إلى الجزائر ولم يأخذوا بومدين معهم وقد تضامن الرئيس بن بلة مع رفيقه بومدين ولم يدخل الجزائر مع رئيس الحكومة المؤقتة . في ذلك اليوم أدركت وجود خلاف بين أعضاء القيادة الجزائرية . فقد كان بومدين في الحقيقة هو بطل الاستقلال بصفته قائد جيش التحرير وكان بقية أعضاء الحكومة المؤقتة يظنون أنه يتطلع للاستيلاء على السلطة. وقد كان بالفعل يمثل البطل بالنسبة لكل الجزائريين وكانت شعبيته بينهم في أعلى المستويات . كما أن قادة المناطق كانوا يتبعونه مباشرة ويأتمرون بأمره ومن هنا كانت خشية الحكومة المؤقتة منه.

قال لي بومدين أيضا إن الإهتمام الأكبر يجب أن ينصب على إعادة بناء المجتمع والعناية بأسر الشهداء والمصابين والجرحى وكذلك التعليم . وقد ركز كثيرا على موضوع التعليم وعلى تعريب التعليم على وجه الخصوص . وقد استعانوا بالفعل بكثير من المعلمين المصريين والأردنيين والفلسطينيين. وقد كان الأردن من أوائل الدول التي دعمت الثورة الجزائرية .

وقد ذكر لي بن بلة أن الأردن كان أول بلد يهدي الجزائر قطعة أرض لبناء سفارة عليها. وتم البناء على حساب الشعب الأردني الذي جمع تبرعات لذلك الغرض من التجار ورجال الأعمال والطلاب .

الأمر الثاني الذي ناقشته مع بومدين في الطائرة كان موضوع أحراش الأوراس المحترقة. فقال لي إن القاعدة الجوية الفرنسية المهجورة القريبة من باتنة والتي هبطت طائرتنا فيها في رحلة الاحتفال بالاستقلال ، تجمعت فيها أعداد من الطائرات الفرنسية الحربية للإنقضاض على الثوار المحتشدين في غابات الأوراس حيث قام جيش التحرير بتجميع آلاف المقاتلين في الأحراش القريبة بهدف مهاجمة القاعدة الجوية وتدميرها. ولكن ربما كان هناك بعض المتعاونين مع الفرنسيين الذين أفسحوا السرفقامت الطائرات الفرنسية بمهاجمة الأحراش بلا هوادة بحرقها بقنايل النابالم على من فيها ولم ينج من ذلك سوى 17 شخصا. ومما سألته أيضا موضوع الاتصالات بين القيادات الثورية وبين العناصر وكيفية تمرير التعليمات والأوامر فقال إن الإعتماد كان على الإتصال الشخصي بإرسال

مبعوث لا يثير الشبهات يستخدم دراجة أو سيارة عادية وكان هذا أهم وسائل الاتصال بين فرق جيش التحرير.

أما موضوع الحصول على السلاح فكان المشكلة الأكبر للثوار. وقال لي بومدين أن الثوار كانوا يحصلون على السلاح عبر مصر أو يشترون بعض الأسلحة الخفيفة من بلجيكا أو دول أخرى بواسطة شركات وهمية في عدد من الجزر التي توصف «أوف شور» ويهربونها من هناك إلى الجزائر عبر قوارب صغيرة تحمّل في عرض البحر ثم تنقل إلى قطعة معزولة من الشاطئ وتنقل على دفعات إلى مخازن سرية في بروكسل أو قريبا منها.. ومن هناك تنقل إلى ميناء روتردام في هولندا حيث يحملها عمال جزائريون في السفن المتجهة إلى تونس أو طرابلس في ليبيا. كما أن الثوار كانوا كثيرا ما يغنمون أسلحة من الفرنسيين أنفسهم عندما يحققون نجاحات في عملياتهم.

لم يكن صعبا عليّ حين تحدث عن تهريب الأسلحة الخفيفة من بلجيكا عبر ميناء روتردام الهولندي أن أدرك أن سيارتي كانت إحدى الوسائط وأن الرئيس بومدين كان يعرف ذلك حين أشار إلى الموضوع وكأنه كان يريد إشعاري بذلك بشكل غير مباشر وأنه أشار إلى الموضوع لكي أدرك أن ذلك الاحترام الذي لقيته في الجزائر بما في ذلك السفر بمعيته كان جزءا من ذلك التكريم!!

وقد سألتني بومدين في الطائرة عن سبب اختياري ومنحي الحق الحصري لتغطية مفاوضات استقلال الجزائر فحدثته عن الضابط الذي كان صلة الوصل بيني وبين الثوار وكان اسمه يوسف بودراع وقد كان ضابطا برتبة نقيب في جيش التحرير ومقره في بروكسل من أجل جمع التبرعات للثوار واستخدامها لشراء احتياجات جيش التحرير. وابتسم حين ذكرت اسم بودراع دليلا على أنه يعرفه وبالتالي تهيا لي أنه أراد بابتسامته ساعتئذ أن يشعرني أنه يعرف ما كنت أقوم به من مساعدات لذلك الضابط الفذ الذي وعد بومدين أن يجمعني به إن عدت إلى الجزائر فيما بعد. ولكن ذلك لم يحصل إلا بعد أربعة وخمسين عاما عندما زرت الجزائر بدعوة من وزير الثقافة الأستاذ عز الدين ميهوبي في أيار مايو 2016 ولكن وفاة بومدين قبل ذلك بسنوات قد حال دون ذلك ولم يعرفه أحد ممن سألتهم عنه في تلك الزيارة .

حدثته أيضا عن تجربتي مع يوسف وكيف كنت أساعد الثوار مستخدما سيارتي التي تحمل إشارة خاصة بأني صحفي وبالتالي كان ذلك يسهل عبوري بين الحدود الأوروبية

لدول البينلوكس وهي اتحاد اقتصادي بين بلجيكا وهولندا ولوكسمبرغ . ولما عرفني ضباط الحدود وعرفوا أنني صحفي كانوا يسهلون عبوري من دون فتح السيارة . وهذا ساعد على تمرير كثير من الأدوية والمعدات الأخرى . وفي مرة من المرات لاحظت انهم ركبوا درجا خشبيا تحت الصندوق الخلفي للسيارة ولكني لم أسألهم عنه أبدا . لكن بعد حديثي مع بومدين أدركت انهم فعلوا ذلك لعدم إحراجي أو الخوف من القيام بذلك .

بعد أن انتهيت من رواية قصتي عن مساعدتي للثوار وضع بومدين يده على كتفي وأحاطني بحنو وأعرب عن شكره وامتنانه وقال إن الثورة الجزائرية مدينة لكثيرين من الناس الذين ساعدوا في تحقيق الانتصار «وأنت واحد من هؤلاء الناس ونعتبرك واحدا منا».

كان ذلك الحديث بالنسبة لي أشبه بالوسام خصوصا من بومدين.

لقاء الرئيس عبد الناصر

ربما كانت مقابلي للرئيس المصري جمال عبد الناصر المفاجأة الأكبر في حياتي. عندما وصلت مصر بعد الجزائر وكان ذلك في تموز / يوليو من العام 1963، كان أحد رؤساء التحرير في وكالة أنباء الشرق الأوسط هو الأردني محمد الخطيب . ودار بيننا حديث مطول عن زيارتي للجزائر وحديثه عن لقائي الرئيس أحمد بن بلة والجولة الموسعة التي رافقته فيها في جميع أنحاء الجزائر بمناسبة العيد الأول للاستقلال وكذلك عن لقائي وزير الدفاع هواري بومدين في الطائرة وكان يصغي باهتمام لتجربتي التي اعتبرها فريدة وتاريخية ، لكني رجوته ألا ينشر شيئا مما حدثته عنه في وكالة أنباء الشرق الأوسط لأنني وعدت الأسبوع العربي به .

في اليوم التالي ولدهشتي الكبيرة ، اتصل بي محمد الخطيب على الفندق الذي أنزل فيه ليقول لي إنه بعد ساعتين ستصلك سيارة لتنقلك إلى القصر الجمهوري ومقابلة الرئيس. قلت له أي رئيس تقصد؟ فقال الرئيس عبد الناصر... سر الدهشة أنني لم اطلب مقابلة الرئيس وإن كانت تلك أمنية عزيزة على قلبي وعلى قلب كل صحفي في ذلك الوقت ، فأنا أعرف أن مقابلة عبد الناصر ليست بتلك السهولة . فأيقنت أن الزيارة تم ترتيبها لأن عبد الناصر علم بمرافقتي للرئيس بن بلة في جولة الجزائر ، وعبد الناصر كان يكنّ لزعيم الثورة الجزائرية الاحترام والتقدير والمحبة وكانت مصر إحدى أكبر الداعمين لثورة

الجزائر. فقد كان الأستاذ الخطيب صديقا لمدير مكتب الرئيس عبد الناصر والذي حدثه على ما يبدو بهذه المعلومات فنقلها بدوره إلى الرئيس . وكان هذا هو السبب في اللقاء الذي جمعتني بالرئيس عبد الناصر. كانت تلك أكبر مفاجأة بالنسبة لي ولم أفتنع بالأمر بسهولة وظننت انه يمزح معي فقال « أنا بكلمك بجد، الرئيس عايز يشوفك». فصدقت واقتنعت رغم الدهشة.

لما دخلت إلى مكتب الرئيس أحسست بالهيبة ، فالرجل له هيبة طاغية غير طبيعية وكاريزما تلمسها من أول لحظة . يشعر الإنسان في حضرة عبد الناصر انه بالفعل أمام شخصية غير طبيعية.

« أهلا بالأخ سمير» هكذا بادرني ثم صافحني. فجلست ولكن بعد أن جلس هو قبلي. قال بلهجتة المصرية ، أه، سمعت عن تجربتك في الجزائر، وإنك رافقت الأخ أحمد ، فقلت له نعم يا سيدي أنا أعتقد انه من حسن حظي أنه أتاحت لي تجربة فريدة في مهنة الصحفي أن أرافق الرئيس بن بلة في جولة عبر الجزائر. فقال حدثني عنها.

حدثته عن الجولة مع الرئيس بن بلة من وهران إلى قسنطينة وإلى كل المناطق الجزائرية حتى وصلنا إلى بسكرة في أقصى الجنوب على أبواب الصحراء وقبلها تيزي أوزو في منطقة القبائل.

ثم ذكرت له أنني في الريبورتاج الذي نشرته في الأسبوع العربي وصفت بن بلة بأنه «شهيد الثورة الحي» بسبب ما رأيته من استقبالات الجزائريين له. عندها فتح عبد الناصر عينيه اللتين برقتا ونظر إلي قائلا: « ده لقب موفق، ده لقب يستاهله بن بلة. وهو شهيد لكن ربنا أكرمته بأن أبقيه على قيد الحياة».

ثم سألتني عن الأشياء التي رأيتهما في الجزائر وماهي النواحي التي لفتت نظري. وحدثته عن بلدة تسمى عين البيضا التي تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي خمسمئة كيلومتر وتتبع ولاية أم البواقي وتقع في شمال شرقي الجزائر. وقد قيل إن العدد الأكبر من رجالها استشهدوا في حرب التحرير بسبب أنها بعيدة عن المدن وبالتالي لم يكن سهلا نقل المصابين إلى المستشفيات فكانوا يموتون في الطريق. وقد قررت القيادة الجزائرية أن بناء مستشفى في هذه البلدة هو من الأولويات .

طوال اللقاء مع عبد الناصروالذي زاد عن ساعة لم أستطع سؤاله أي سؤال . فقد كان هو الذي يطرح الأسئلة عن بن بلة وعن الجزائر وعن مشاهداتي بالتفصيل . ولما حدثته عن رحلة الطائرة إلى باتنة وكيف أنني صورت قادة الثورة وهم ينزلون من الطائرة متسلقين الحبل فرد بدهشة بالقول «همه ثوار متعودين على كده». وطلب أن أذكر له من الذين صورتهم فذكرتهم له. وكنت أتوقع انه سيطلب أن يرى الصور أو يطلب نسخا منها لكنه لم يفعل.



الصورة (1) الرئيس أحمد بن بلة ينزل من الطائرة متسلقا حبلًا «همة ثوار متعودين على كده» كما قال الرئيس جمال عبد الناصر

الأمر الآخر الذي تحدثنا فيه كان يتعلق بصراع القوى في الجزائر. سألني هل استتب الأمر إلى بن بلة؟ هل شعرت بوجود أي مشكلة؟ سألني ذلك عندما حدثته عن قصة بن خدة وبومدين فقال نعم نحن نعرف هذه الحكاية. وسال مجدداً: هل لمست أنه يوجد صراعات قوى؟ فقلت له إني شعرت بالتفاف الجزائريين كلها حول الرئيس بن بلة إلى درجة تكاد تصل إلى حدّ التقديس. فقد كان من مفجري الثورة وضحي بسنوات من عمره في السجن وبالتالي كان أول رئيس للدولة في عهد الإستقلال.

كما سألني عبد الناصر عن انطباعاتي عن بومدين حين علم أنني رافقته بالطائرة من الجزائر إلى القاهرة. وعندها قال بلهفة: والله؟ تكلمتم بإيه؟ قلت له كان يهمني أن أسمع منه وجهة نظره فيما حدث في طرابلس عند دخول القيادة إلى الجزائر يوم الإستقلال. وثانياً كان يهمني أن أعرف منه عن ذلك العدد الهائل من الشهداء في حرب التحرير، وما هي ترتيبات الدولة للعناية بأسرهم وبأبناء الشهداء. أما الأمر الثالث الذي سألته عنه فكان عن الصعوبات التي واجهت جيش التحرير الجزائري خلال الثورة وخصوصاً الحرائق الهائلة في جبال الأوراس.

كنت على الدوام أعتقد أن تجربتي الجزائرية أو تجربتي في الجزائر تحتاج إلى كتاب كامل. فقصة الجزائر تستحق أن تروى بالتفصيل فلقد أصبحت دولة مرموقة ولها دور كبير في الحياة العربية والحياة الأفريقية. وأنا أعتبر أن ما رويته مجرد عناوين للتفاصيل.

يجب التنويه هنا أنني في التحقيقات الصحفية التي كتبتها عن الجزائر أطلقت عليها كما ذكرت صفة أسطورة الحرية في القرن العشرين ووصفت الزعيم بن بلة بشهيد الثورة الحي. وعندما أتحدث عن الجزائر بعد كل تلك السنوات أشعر أنها صارت قطعة من نفسي على الرغم من أنني أعتبر ما قمت به من جهد متواضع في مساندة الثورة الجزائرية لم يكن سوى نقطة في بحر النضال الأسطوري الجزائري.

تراودني دمة تكاد تفرّ من عيني وأنا أستذكر تلك المرحلة. فالجزائر جزءٌ من مخزوني أو إرثي العاطفي. عندما دخلت الجزائر لم أكن اصدق أنني أعيش إنجازاً لم يتمتع به غيري وهو أن أحصل على الحق الحصري في تغطية مفاوضات استقلال الجزائر. لم يكن شيئاً طبيعياً يستطيع أن يحصل عليه أي صحفي. ولكنني حصلت عليه. ولم يكن شيئاً طبيعياً

أن أدخل الجزائر مع أبطال الاستقلال وأن أشارك الرئيس الراحل أحمد بن بلة في الجولة الواسعة التي عرفت فيها الجزائر شبرا شبرا . فهذه بالنسبة إلي ثروة عاطفية غير طبيعية وهي جزء من مخزوني العاطفي.

أسطورة الجزائر ليست مجرد تاريخ يروى! فالشعب الذي يدفع ما يزيد عن مليون شهيد غير مئات الآلاف أو الملايين من النساء الثكلى ومن اليتامى والمصابين والمعاقين مقابل الحرية ثمن لم يدفعه أي شعب آخر على وجه الكرة الأرضية كلها إلا الجزائر. الجزائر ليست بلدا طبيعية والسبب هو ثورتها . ثورة الجزائر كانت بالفعل أسطورة وليس ثورة عادية . هذا الاستقلال الذي أنجزه أبطال الماضي كان معجزة وإن كان ثمنه أرواح ودماء حية سالت مثل الأنهار.

ولا يسعني إلا أن أقول – ختما – إن الذكريات الغالية تغرس في القلب نبتة محبة دائمة وأبدية تبقى ما بقي في الجسد حياة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والخلود والرحمة لشهداء ثورة الجزائر أسطورة الحرية في القرن العشرين.

ثالثا: دراسات وبحوث باللغات الأجنبية